دول القرن الأفريقي: دورها وتأثيرها في القضية الصومالية (الجزء الأول)

التقرير الأسبوعي

الرقم: 29

إعداد: الكاتب والباحث / عبد الله الفاتح

تاريخ الإصدار: الأحد 29 أبريل 2018

نبذة عن المؤسسة

الصومال الجديد مؤسسة أهلية غير ربحية تعمل في مجال الإعلام والبحوث والدراسات والتنمية البشرية، وتأسست المؤسسة على يد مثقفين وكوادر مهنيين صوماليين في العاشر من شهر مايو عام 2015، ويقع مقرها الرئيسي في العاصمة الصومالية مقديشو.

Website: www.alsomalaljadid.com / www.alsomal.so / www.alsomal.net Email:alsomalaljadid@gmail.com

ملخص:

يحاول هذا التقرير تسليط الضوء على دور دول القرن الإفريقي في الصومال، وذلك منذ سقوط الحكومة المركزية في مطلع التسعينات من القرن العشرين، ودخول البلاد في سلسلة لا متناهية من الحروب والصراعات الداخلية تمددت تداعياتها من إطارها المحلي، لتصبح قضية دولية وإقليمية مزمنة.

ويتناول هذا التقرير . بالتحليل والمناقشة أهم التفاعلات الراهنة لدور دول الجوار داخل الصومال، ومدى تأثيرها على مجريات الأحداث من جهة وعلى مستقبل الصومال وخارطها الجيوبولتيكية من جهة أخرى.

كما يهدف هذا التقرير إلى رؤية مستقبلية لمآلات دور دول الجوار ومدى إمكانية تغييره لصالح الدول الكبرى والقوى الصاعدة الأخرى، وذلك على ضوء تصاعد التدافع الدولي والصراع في المنطقة من أجل النفوذ والهيمنة.

ولهذا يناقش التقرير المحاور الآتية مستخدماً المنهج التحليلي الوصفي:

- مدخل تمهيد: الاستعمار الأوروبي وتقسيم الصومال.
- المحور الأول: أهمية الصومال: الاستراتيجية والجيوبولتيكية.
- المحور الثاني: طبيعة الأزمة الصومالية .. أبعادها وارتباطاتها الإقليمية والعالمية.
- المحور الثالث: طبيعة الاهتمام الدولي بالصومال.
- المحور الرابع: تفاعل دول الجوار ودورها حيال النزاع في الصومال.
- المحور الخامس: رؤية مستقبلية.

مدخل تمهيدي

الاستعمار الأوروبي وتقسيم الصومال

لقد اكتوت الصومال بنيران الاستعمار منذ زمان بعيد، حيث تعرضت لهجمة استعمارية شرسة استخدم فيها كل أنواع الأسلحة المادية والمعنوية لإحداث اهتزاز في ثقة الأمة بمبادئها الإسلامية وقيمها الحضارية من أجل إخضاعها والنيل من كرامتها وكبريائها.

ورغم ذلك كله، تميزت حركة المقاومة والجهاد ضد القوى الاستعمارية في شرق أفريقيا بوجه عام، وفي بلاد الصومال على وجه الخصوص، بأنها أكثر عمقاً وأشد صلابة عن غيرها من حركات المقاومة والجهاد في بقية أجزاء القارة الإفريقية الأخرى، ولعل ذلك يرجع في المقام الأول إلى أن هذه المنطقة عرفت الإسلام قبل غيرها وشهدت التحامات المسلمين والمسيحيين منذ فجر الدعوة الإسلامية[1].

في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، أخذ هذا الصراع منحاً تصعيدياً حيث تكالبت القوى الاستعمارية الكبرى على الصومال لاخضاعه بالقوة المسلحة وتقسيمه لاحقاً بين بريطانيا وإيطاليا وفرنسا بالإضافة إلى إثيوبيا التي استفادت من عمليات التقسيم وقامت بحملة توسعية على حساب جيرانها.

وهكذا بدأ عصر قهر الاستعمار الأوروبي في الصومال، ليواصل الشعب الصومالي كفاحاً طويلاً من أجل استعادة حريته واستقلاله وتوحيد أراضيه المقسمة[2].

عندما استقل الاقليمان الشمالي (الصومال البريطاني) والجنوبي (الصومالي الايطالي) في عام 1960م، كونا دولة واحدة تحت علم جمهورية الصومال، دخلت الدولة الوليدة في

---

[1] عبد الله الفاتح، تاريخ الاستعمار القديم والحديث في الصومال، ورقة بحثية غير منشور.

[2] د. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد 139.،

صراعات مع جيرانها من أجل تحرير الأقاليم الأخرى ومنها إقليم الصومال الغربي الذي اقتطعته بريطانيا ومنحته لإثيوبيا، وإقليم (N.F.D) الذي منحته بريطانيا لكينيا.

وهكذا أصبح شعار الصومال الكبير مدعاة لصراع مستمر بين الصومال ودول الجوار، مما أثر سلباً على استقرار وأمن الدولة الوليدة[3].

أولاً: أهمية الصومال الاستراتيجية والجيوبولتيكية.

تعتبر الصومال الدولة الأكثر أهمية من الناحية الاستراتيجية بين دول منطقة القرن الإفريقي . سواء أكان الحديث عن المنطقة بمفهومها التقليدي الذي يضم أربعة دول فقط، أو بمعناها الجيوبولتيكي الواسع الذي تدخل في إطاره دول أخرى ذات المصالح أو النزاعات مع دول القرن الإفريقي التقليدية.

فالصومال بلد مترامي الأطراف وتبلغ مساحتها نحو 637.657 كيلومتر مربع، فيما يقدر عدد سكانها 12 مليون نسمة[4] وهي تتمتع بموقع استراتيجي في غاية الأهمية يجعل منها دولة تجمع بين الهويتين العربية والإفريقية، وكذلك تمتلك أكبر ساحل على المحيط الهندي، يزيد مجموع طوله على ثلاثة آلاف كيلومتر، وتتحكم على أهم طرق الملاحة البحرية في المحيط الهندي وخليج عدن ومداخل الخليج العربي وصولاً إلى البحر الأحمر ومضيق باب المندب[5].

---

[3] محاسن عبد القادر حاج الصافي، شعار الصومال الكبير، تاريخه وتطوره في الوثائق البريطانية 1939 . 1955م، المعرفة، العدد 440.

[4] أبشر الإمام أمين، (الموقع الجغرافي للصومال وأثره في بنائه السياسي)، (جغرافيون العرب) ، الرياض، 2011م، ص2.

[5] توفيق المديني، الحرب الإثيوبية في الصومال والسيطرة الأمريكية على القرن الإفريقي، الوسط التونسية، التاريخ 8 فبراير 2008م.

ولا تقتصر أهمية الصومال على اعتبارات الموقع الجغرافي الفريد فحسب، وإنما تتعداها للاعتبارات الجيوبولتيكية الأخرى، نتيجة لامتلاكها ثروات طبيعية كخامات الحديد والنحاس والقصدير والملح، علاوة على ثروات أخرى تستخدم في الصناعات الثقيلة والنووية مثل اليورنيوم، وقد تم التأكد أيضاً من وجود النفط والغاز الطبيعي بكميات تجارية[6].

وإلى جانب ذلك تمتاز الصومال بثروات حيوانية وسمكية وزراعية هائلة، ولذا تعد من الدول الرئيسة في تصدير اللحوم ومشتقات الألبان بالإضافة إلى المنتجات الزراعية المختلفة من الخضروات والفواكه كالموز والمنجا والرتقال وغيرها.

ووفقاً لهذه المعطيات أعلاه، تتضح جلياً الأهمية الكبيرة للصومال، وقد ظلت منذ العهود الاستعمارية، تشكل اهتماماً مركزياً في أجندة صانعي السياسات الخارجية لدى القوى الدولية الكبرى، الأمر الذي يؤكد على أهميتها الجيوبولتيكية وفاعليتها وحيويتها السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية[7].

ثانياً: الأزمة الصومالية وأبعادها الإقليمية والعالمية.

○ منظور سوسيو تاريخي:

تمثل الأزمة الصومالية حالة فريدة من نوعيها في العالم، لكونها الحالة الوحيدة التي شهدت انهياراً كاملاً وممتداً للدولة منذ سقوط نظام "محمد سياد بري" في بداية حقبة التسعينات من القرن العشرين، ودخول البلاد في سلسلة لا متناهية من العنف والصراعات

---

[6] د. عبد الرحيم حاج يحي، العربية الفصحى في اللغة الصومالية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، الطبعة الأولى، 2006م، ص 13.

[7] عاصم فتح الرحمن، تغيير موازين القوى في القرن الإفريقي، مركز دراسات المستقبل، الخرطوم . 2012م.

الداخلية توالت تداعياتها السياسية والأمنية على كافة المستويات والأصعدة، وقد أصابت المراقبين بالكثير من الحيرة والدهشة[8].

ومع فشل مشروع الدولة الوطنية قدمت الصومال للعالم نموذجاً حياً للدول الفاشلة استعصت كل الجهود لمواجهتها، وقد أصبحت مثل "صندوق باندورا" الذي انفتح فخرجت منه مختلف الآفات على الإقليم، المتمثلة بالتدخل الأجنبي بشتى صوره وأشكاله ومشكلات التطرف والإرهاب والقرصنة البحرية والجريمة المنظمة علاوة على أزمات اللاجئين ودفن النفايات السامة وانتشار الأوبئة والأمراض وغيرها[9].

وبالفعل كانت ملابسات الأزمة الصومالية، مدعاة للتفكير والتأمل في دوافعها وأسبابها الحقيقية، وعند إعمال مقاييس المنطق والواقع نلاحظ أن أهميتها تنبع ليست باعتبارها من أعقد وأصعب المشكلات السياسية التي عرفتها منطقة القرن الإفريقي في تاريخها الحديث فحسب، بل من كونها الحالة الوحيدة التي فشلت معظم أدوات تسوية النزاعات سواء المفاوضات والوساطة والتدخل الخارجي، في حلها أو احتواء تداعياتها الداخلية والإقليمية والدولية، مما يثير تساؤلات عميقة بشأن استمرارها والعجز عن الوصول إلى تسوية ناجحة وفعالة لإنهاء الأزمة[10].

---

[8] عبد الرحمن سهل، المشكلة الصومالية وتداعيات الراهنة، مجلة قراءات أفريقية (الخرطوم: المنتدى الإسلامي، العدد الأول، أكتوبر 2004م).

[9] عبد الوهاب الصاوي، السودان والقرن الإفريقي، المجلة السودانية للدراسات الدبلوماسية، العدد التاسع . الخرطوم 2011م.

[10] د. رجب عمر العاتي،، دور منظمة الإيجاد في تسوية الأزمة الصومالية، مجلة الجامعة الأسمرية الإسلامية،.Www.asmarya.edu.ly-uploads/2015.

على ضوء هذه التعقيدات المتشابكة التي تحيط بالأزمة الصومالية، لا يمكننا الحديث عن دول الجوار وطبيعة دورها الراهن في الصومال، دون العودة إلى التاريخ لسبر غور التأثير العميق للقوى الدولية الكبرى في تشكيل الأوضاع والحدود السياسية في منطقة القرن الإفريقي، وفق مصالحها الاستراتيجية مثيرة بذلك لكثير من التناقضات العرقية والجهوية والنزاعات السياسية داخل كل دولة ومع جيرانها، ولعل تسلسل الأحداث وزمانها يكون أقوى دليل على هذه الحقيقة التاريخية.

وهذا ما يدفعنا إلى إلقاء نظرة سريعة على تلك الأحداث وملابساتها للوقوف على دور القوى الدولية وتأثيراتها البالغة في الأزمة الصومالية وتطور الأحداث في المنطقة بشكل عام.

ثالثاً: طبيعة الاهتمام الدولي الراهن بالصومال:

كما سبقت الإشارة، فإن الاهتمام الدولي بالصومال ليس جديداً، بل إن جذوره التاريخية تعود إلى حقبة الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية قبل قرنين من الزمن، حيث كانت الصومال محل تنافس بين البرتغال وبريطانيا وإيطاليا وفرنسا وذلك لاعتبارات تاريخية وسياسية واقتصادية تتميز بها الصومال[11].

بيد أن هناك عوامل عديدة ساهمت بشكل كبير في تصاعد الاهتمام الدولي بالصومال حالياً، وتبرز تلك العومل على النحو الآتي:

- انهيار أجهزة الدولة في الصومال: فقد كشفت تداعيات مشكلة غياب الدولة الصومالية، خطورة فشل دولة ما، وما يمكن أن يعود ذلك الفشل من أضرار وعواقب وخيمة على

[11] د. عبد الرحيم حاج يحيى، المرجع السابق.

مناطق واسعة من العالم، وفي المحصلة النهائية على مجمل الأمن والمصالح الدولية في الاقتصاد والتجارة[12].

- الموقع الجغرافي للصومال: تكتسب الصومال أهمية خاصة في الاستراتيجيات الدولية، نظراً لموقعها المتميز الذي يجعلها تتحكم على أهم طرق الملاحة الرئيسية في خليج عدن والمحيط الهندي ومنطقة البحر الأحمر.
- الموارد الطبيعية والاقتصادية للصومال: لا تقتصر أهمية الصومال على اعتبارات الموقع الجغرافي فحسب، وإنما تتعداها للاعتبارات الاقتصادية خاصة بعد معرفة طبيعة مواردها الاقتصادية وطاقاتها المادية والبشرية وقدراتها الكامنة على النمو والتطور، مما زاد الاهتمام العالمي بها، وثمة أبعاد جديدة للتنافس الدولي، حيث دخلت قوى دولية جديدة كانت تعتبر بعيدة عن محاور الصراع الدولي المباشر على الموارد، مثل الصين وإيران وتركيا وغيرها.
- التعقيدات المحيطة بالوضع الصومالي: تشكل المشاكل المحيطة بالوضع الصومالي المثمثلة بطبيعة نظامها السياسي والاجتماعي وحدودوها الجغرافية والإدارية ونزاعاتها المحلية والإقليمية والدولية، ظهور وتصاعد دور التنظيمات الإسلامية "المتطرفة[13]" واعتبار ذلك مهدداً أمنياً بارتباطه فيما صار يعرف "بالحرب الدولية على الإرهاب"، فضلاً عن تنامي ظاهرة القرصنة قبالة السواحل الصومالية، وما تمثلها من تهديد خطيرة بالنسبة للأمن الإقليمي والاقتصاد الدولي ومؤشرات الأسواق المالية العالمية، وتعد هذه

---

12 مركز الجزيرة للدراسات، الملامح الجيوسياسية للصراع في القرن الإفريقي،موقع الجزيرة على الإنترنت .2010م (Www.aljazeera.net)

13 عبد الله الفاتح، عودة أمريكا إلى القرن الإفريقي .. الأهداف والدوافع، ورقة بحثية غير منشورة.

المشاكل ضمن الأسباب الرئيسية التي تؤثر سلباً على عوامل الاستقرار السياسي والأمني داخل الصومال ومحيطها، وهو الأمر الذي يجعل منها محط الاهتمام الدولي، ومجالاً حيوياً للتنافس والصراع من أجل الهيمنة والنفوذ[14].

نخلص مما تقدم، بأن كثرة المشاكل وتعقيداتها المحيطة بالصومال، قد سلطت الضوء بشكل أكثر سطوعاً، على ضرورة الاهتمام بها وادماجها في فضاءات الاستراتيجيات الدولية، وهذا ما يبدو جلياً من خلال تصاعد الاهتمام العالمي الراهن بالصومال من أجل إيجاد حلول للوضع المتأزم فيها منذ أكثر من عقدين.

[14] عبد الله الفاتح، المرجع السابق.